بسم الله الرحمن الرحيم

## بلوغ المرام من كتاب نظام الإسلام
## (ح78) كتاب: "طه حسين مفكرا" (ج1)

الحَمْدُ للهِ ذِي الطَّولِ وَالعَامْ، وَالفَضْلِ وَالإِكرَامْ، وَالرُّكْنِ الَّذِي لا يُضَامْ، وَالعِزَّةِ الَّتِي لا تُرَامْ، والصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيرِ الأنَامِ، خَاتَمِ الرُّسُلِ العِظَامْ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَأتبَاعِهِ الكِرَامْ، الَّذِينَ طَبَّقُوا نِظَامَ الإِسلامْ، وَالتَزَمُوا بِأحْكَامِهِ أيَّمَا التِزَامْ، فَاجْعَلْنَا اللَّهُمَّ مَعَهُمْ، وَاحشُرْنا فِي زُمرَتِهِمْ، وثَبِّتنَا إِلَى أنْ نَلقَاكَ يَومَ تَزِلُّ الأقدَامُ يَومَ الزِّحَامْ.

**أيها المؤمنون:**

السَّلامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ وَبَعدُ: نُتَابِعُ مَعَكُمْ سِلْسِلَةَ حَلْقَاتِ كِتَابِنا "بلوغ المرام من كتاب نظام الإسلام" وَمَعَ الحَلْقَةِ الثَّامِنَةِ وَالسَّبعِينَ، وَعُنوَانُهَا: "كِتَابُ طَهَ حُسَين مُفَكِّرًا". نَتَأمَّلُ فِيهَا مَا جَاءَ فِي الصَّفحَتين: الرَّابِعَةِ وَالسِّتِينَ، وَالخَامِسَةِ وَالستينَ مِنْ كِتَابِ "نظامُ الإسلام" لِلعَالِمِ وَالمُفَكِّرِ السِّيَاسِيِّ الشَّيخِ تَقِيِّ الدِّينِ النَّبهَانِيِّ.

يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ: "أمَّا الحَضَارَةُ الإِسْلامِيَّةُ فإِنَّهَا تَقُومُ عَلَى أَسَاسٍ هُوَ النَقِيضُ مِنْ أَسَاسِ الحَضَارَةِ الغَرْبِيَّةِ، وتَصْوِيرُهَا للحَيَاةِ غَيْرُ تَصْوِيرِ الحَضَارَةِ الغَرْبِيَّةِ لَهَا، ومَفْهُومُ السَعَادَةِ فِيهِا يَخْتَلِفُ عَنْ مَفْهُومِهَا فِي الحَضَارَةِ الغَرْبِيَّةِ كُلَّ الاخْتِلافِ".

وَنَقُولُ رَاجِينَ مِنَ اللهِ عَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَرِضْوَانَهُ وَجَنَّتَهُ: فِي هَذِهِ الحَلْقَةِ نُتَابِعُ مَعَكُمْ حَدِيثَنَا الَّذِي كُنَّا قَدْ بَدَأنَاه عَمَّا كَتَبَهُ الدُّكتُور عَبدُ المجِيدِ عَبدُ السَّلامِ المحتَسِبُ. فِي كِتَابِهِ "طَهَ حُسَين مُفَكِّرًا؟" فَهُوَ – رَحِمَهُ اللهُ – مِن المتأثرين بِفِكْرِ الشَّيخِ تَقِيِّ الدِّينِ النَّبهَانِيِّ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَوضُوعُ "الحَضَارَة وَالمدَنِيَّة"، يَقُولُ المؤَلِّفُ فِي الصَّفحَتَينِ: التَّاسِعَةِ وَالسَّبعِينَ، وَالثَّمَانِينَ: "... وَلَكِنَّ المسلِمِينَ عِندَمَا فَتَحُوا مِصْرَ، وَنَشَرُوا الإِسلامَ فِيهَا لَمْ تَكُنْ عَلاقَتُهُمْ بِأهْلِهَا عَلاقَةَ السَّيدِ بِالعَبْدِ، بَلْ عَلاقَةُ الإِنسَانِ الَّذِي يَحمِلُ الرُّقِيَّ الفِكْرِيَّ، وَهُوَ الإِسلامُ، بِالإِنسَانِ الَّذِي انحَطَّتْ أفكَارُهُ، وَصَارَ تَائِهًا، دُونَ إِكرَاهٍ فِي الدِّينِ. صَحِيحٌ أنَّ الاسكَندَرِيَّةَ نَمَتْ وَزَهَتْ حَتَّى أضْحَتْ أبْهَى عَوَاصِمِ العَالَمِ تِجَارِيًّا وَثَقَافِيًّا، وَكَانَتْ مَنَارَةً فِكرِيَّةً تَنبَعِثُ مِنهَا العُلُومُ وَالفَلسَفَةُ إِلَى سَائِرِ أنحَاءِ الشَّرقِ، وَلَكِنَّ المِصرِيِّينَ لَمْ يُشَارِكُوا فِي هَذِهِ الحَرَكَةِ العِلْمِيَّةِ وَالفَلسَفِيَّةِ. وَمُعظَمُ الَّذِينَ نَبَغُوا فِي جَامِعَةِ الاسكَندَرِيَّةِ كَانُوا أغَارِقَةً. أيْ أنَّ هَذِهِ العُلُومَ وَالفَلسَفَةَ الَّتِي ازدَهَرَتْ فِي الاسكَندَرِيَّةِ كَانَتْ نَتَاجَ عُقُولِ السَّادَةِ الإِغرِيقِ، وَلَمْ نَسمَعْ أنَّ مِصرِيًّا وَاحِدًا نَبَغَ فِي هَذِهِ العُلُومِ وَالفَلسَفَةِ. أمَّا مَوقِفُ المِصرِيِّينَ مِنَ الأفكَارِ الإِسلامِيَّةِ، وَالثَّقَافَةِ الإِسلامِيَّةِ، فَمُخْتَلِفٌ عَنْ مَوقِفِهِمْ مِنَ الأفكَارِ الإِغرِيقِيَّةِ، وَالثَّقَافَةِ الإِغرِيقِيَّةِ، فَقَد تَبَنَّاهَا مُعظَمُهُمْ، وَشَارَكُوا فِي هَضْمِهَا وَشَرحِهَا، وَالتَّأليفِ فِيهَا. وَأكبَرُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ أنَّ الأزهَرَ الشَّرِيفَ مُنذُ أكثَرَ

مِنْ ألفِ سَنَةٍ يَقُومُ بِتَدرِيسِ الفِقْهِ الإسلامِيِّ وَاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ. الأفكَارُ الإسلامِيَّةُ يَنبَثِقُ عَنهَا نِظَامٌ مِنْ جِنسِهَا، سَعِدَتْ بِهِ البَشَرِيَّةُ: نِظَامُ الحُكْمِ، النِّظَامُ الاقتِصَادِيُّ، النِّظَامُ الاجتِمَاعِيُّ، نِظَامُ العُقُوبَاتِ. وَمَاذَا تُنتِجُ لَنَا الأفكَارُ الإغرِيقِيَّةُ الوَثَنِيَّةُ مِنْ أنظِمَةٍ؟ لَمْ نَسمَعْ أنَّ الأفكَارَ الإغرِيقِيَّةَ الوَثَنِيَّةَ أنتَجَتْ نِظَامًا شَامِلاً مُتَكَامِلاً.

وَإِذَا صَحَّ قَولِي، وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى أيَّةِ حَالٍ، فَهَلْ أكُونُ غَالِيًا إِذَا وَصَفْتُ طَهَ حُسَينٍ بِالتَّضلِيلِ، وَتَشوِيهِ الحَقَائِقِ، وَتَزوِيرِ التَّارِيخِ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيهِ؟؟ وَطَهَ حُسَينٍ لَمْ يَكتَفِ بِالتَّرويجِ لِلحَضَارَةِ الغَرِبِيَّةِ، وَالأفكَارِ الرَّأسْمَالِيَّةِ السَّائِدَةِ فِي مِصْرَ، وَسَائِرِ بِلادِ المسلِمِينَ بِالمِقدَارِ الَّذِي أرَادَهُ المستَعمِرُونَ، بَلْ تَرَاهُ يُشَدِّدُ عَلَى وُجُوبِ الإيغَالِ فِي الأخْذِ بِكُلِّ أسْبَابِ الحَضَارَةِ الغَربِيَّةِ، يَقُولُ فِي كِتَابِهِ "مُستَقبَلُ الثَّقَافَةِ فِي مِصْرَ": "لَكِنَّ السَّبِيلَ إِلَى ذَلِكَ لَيسَتْ فِي الكَلامِ يُرْسَلُ إِرسَالاً، وَلا فِي المظَاهِرِ الكَاذِبَةِ، وَالأوضَاعِ المُلَفَّقَةِ، وَإِنَّمَا هِيَ وَاضِحَةٌ بَيِّنَةٌ مُستَقِيمَةٌ، لَيسَ فِيهَا عِوَجٌ وَلا التِوَاءٌ. وَهِيَ وَاحِدَةٌ فَذَّةٌ لَيسَ لَهَا تَعَدُّدٌ، وَهِيَ أنْ نَسِيرَ سِيرَةَ الأُورُوبِيِّينَ، وَنَسلُكَ طَرِيقَهُمْ؛ لِنَكُونَ لَهُم أندَادًا، وَنَكُونَ لَهُم شُرَكَاءَ فِي الحَضَارَةِ: خَيرِهَا وَشَرِّهَا، حُلْوِهَا وَمُرِّهَا، مَا يُحَبُّ مِنهَا وَمَا يُكْرَهُ، وَمَا يُحمَدُ مِنهَا وَمَا يُعَابُ. وَمَنْ زَعَمَ لَنَا غَيرَ ذَلِكَ فَهُوَ خَادِعٌ أو مَخْدُوعٌ. وَالغَرِيبُ أنَّا نَسِيرُ هَذِهِ السِّيرَةَ، وَنَذْهَبُ هَذَا المذْهَبَ فِي حَيَاتِنَا العَمَلِيَّةَ اليَومِيَّةَ، وَلَكِنَّنَا نُنكِرُ ذَلِكَ فِي ألفَاظِنَا وَعَقَائِدِنَا، وَدَخَائِلِ نُفُوسِنَا، فَنَتَوَرَّطَ فِي نِفَاقٍ بَغِيضٍ، لا أستَطِيعُ أنْ أُسِيغَهُ، وَلا أنْ أسْكُنَ إِلَيهِ. إِنْ كُنَّا صَادِقِينَ فِيمَا نُعلِنُ وَنُسِرُّ مِنْ بُغْضِ الحَيَاةِ الأُورُوبِيَّةِ فَمَا يَمْنَعُنَا أنْ نَعدِلَ عَنهَا عُدُولاً، وَنَصُدَّ عَنهَا صُدُودًا، وَنَطرَحُهَا اطِّرَاحًا، وَإِنْ كُنَّا صَادِقِينَ فِيمَا نُقْدِمُ عَلَيهِ كُلَّ يَومٍ، وَفِي كُلِّ ثَنْيٍ مِنْ أثنَاءِ حَيَاتِنَا العَمَلِيَّةِ مِنْ تَقلِيدِ الأُورُوبِيِّينَ وَمُجَارَاتِهِمْ، فَمَا يَمنَعُنَا أنْ نُلائِمَ بَينَ أقوَالِنَا وَأعمَالِنَا، وَبَينَ آرَائِنَا وَسِيرَتِنَا، فَإِنَّ هَذَا النِّفَاقَ لا يَلِيقُ بِالَّذِينَ يُكبِرُونَ أنفُسَهُمْ، وَيُرِيدُونَ أنْ يَرتَفِعُوا بِهَا عَنِ النَّقَائِصِ وَالدَّنِيَّاتِ". انتَهَى كَلامُ طَهَ حُسَين.

يَقُولُ الدُّكتُورُ عَبدِ المجِيدِ المحتَسِبُ مُعَقِّبًا عَلَى كَلامِهِ: "وَحَتَّى تَتَّضِحَ خُطُورَةُ مَا يَدعُو إِلَيهِ طَهَ حُسَينٌ وَيُرَوِّجُ لَهُ، وَيُنَاشِدُ الأُمَّةَ أنْ تُوغِلَ فِي الأخْذِ بِأسبَابِهِ أرَى لِزَامًا عَلَيَّ أنْ أُحَدِّدَ مَفهُومَ الحَضَارَةِ وَالمدَنِيَّةِ، فَأقُولُ: إِنَّ الحَضَارَةَ هِيَ مَجمُوعُ المفَاهِيمِ وَالقَنَاعَاتِ الأسَاسِيَّةَ وَالفَرعِيَّةَ عَنِ الحَيَاةِ. وَالحَضَارَةُ الإسلامِيَّةُ تَقُومُ عَلَى الإيمَانِ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَبِاليَومِ الآخِرِ، وَبِالقَضَاءِ وَالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى. وَوُجُودُ المسَاجِدِ فِي دِيَارِ الإسلامِ، وَمَشَاعِرُ الحَجِّ حَولَ البَيتِ العَتِيقِ، وَمَنعُ الرِّبَا أوِ المصَارِفِ الرِّبَوِيَّةِ، وَإِيجَادُ خَلِيفَةٍ وَاحِدٍ يَحكُمُ المسلِمِينَ بِالإسلامِ فِي دِيَارِ الإسلامِ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنعُ الاختِلاطِ بَينَ الذُّكُورِ وَالإِنَاثِ، وَكَونُ المرأةِ رَبَّةَ بَيتٍ، وَعِرضًا يَجِبُ أنْ يُصَانَ، وَغَيرُ هَذِهِ المفَاهِيمِ الَّتِي يَحمِلُهَا المسلِمُ المستَنِيرُ عَنِ الحَيَاةِ تُعَدُّ مِنَ الحَضَارَةِ الإسلامِيَّةِ.

وَالحَضَارَةُ الغَرْبِيَّةُ أوِ الرَّأسْمَالِيَّةُ تَقُومُ عَلَى أسَاسِ فَصْلِ الدِّينِ عَنِ الحَيَاةِ أوْ السِّيَاسَةِ بَعدَ عَمَلِيَّةِ الصِّرَاعِ المَرِيرِ الدَّامِي بَيْنَ رِجَالِ الدِّينِ، وَعَلَى رَأسِهِمُ البَابَا مِنْ جِهَةٍ، وَبَيْنَ رِجَالِ السُّلطَةِ الزَّمَنِيَّةِ "أي الحُكَّامِ" وَالمُفَكِّرِينَ مِنْ جِهَةٍ أُخرَى. وَعَلَى أسَاسِ فِكْرَةِ فَصْلِ الدِّينِ عَنِ الحَيَاةِ قَامَتِ الحُرِّيَاتُ الأرْبَعُ: حُرِيَّةُ الرَّأيِ، وَحُرِيَّةُ العَقِيدَةِ، وَحُرِيَّةُ المِلْكِ، وَالحُرِيَّةُ الشَّخصِيَّةُ، وَعَلَى أسَاسِ حُرِيَّةِ المِلْكِ قَامَ النِّظَامُ الاقتِصَادِيُّ الرَّأسْمَالِيُّ، فُسُمِّيَ الشَّيءُ كُلُّهُ بِأبْرَزِ مَا فِيهِ.

أمَّا المَدَنِيَّةُ فَهِيَ مَجمُوعُ الأشكَالِ المَادِيَّةِ الَّتِي تُستَعْمَلُ فِي الحَيَاةِ مِنَ المِلعَقَةِ وَالسَيَّارَةِ وَالطَّائِرَةِ وَالصَّارُوخِ وَالمِدَافِعِ وَالدَّبابَاتِ وَالمِدَرَّعَاتِ وَالتراكتُور، وَكُلِّ المخترَعَاتِ وَالمصنُوعَاتِ. وَهُنَاكَ مَدَنِيَّةٌ مُرتَبِطَةٌ بِمَفَاهِيمَ عَنِ الحَيَاةِ، فَالهَندَسَةُ عِلْمٌ، وَلَكِنْ كَونَ النَّوَافِذِ وَاسِعَةً مُنخَفِضَةً، تُبرِزُ سُكَّانَ المنزِلِ مُبَاحٌ فِي الحَضَارَةِ الرَّأسْمَالِيَّةِ لأنَّهَا مُرتَبِطَةٌ بِالحُرِيَّةِ الشَّخصِيَّةِ، وَمُحَرَّمٌ فِي الحَضَارَةِ الإسلامِيَّةِ، لأَنَّ الحُرِيَّةَ فِي الإسلامِ مُقَيَّدَةٌ بِالشَّرعِ؛ وَلِذَلِكَ تَكُونُ النَّوَافِذُ فِي بُيُوتِ المسلِمِينَ، وَسَائِرِ رَعَايَا الدَّولَةِ الإسلامِيَّةِ عَالِيَةً سَاتِرَةً. وَالعِلْمُ عَامٌّ لِكُلِّ أهْلِ الأرْضِ، أمَّا الحَضَارَةُ وَالأفكَارُ فَخَاصَّةٌ، وَالعِلْمُ فِي رُوسيَا وَأمرِيكَا وَبرِيطَانيَا وَالصِّينِ وَاحِدٌ. لَكِنَّ الحَضَارَةَ فِي رُوسيَا وَالصِّينِ غَيرُ الحَضَارَةِ فِي أمرِيكَا وَبرِيطَانيَا. وَالأسَاسُ الَّذِي تَقُومُ عَلَيهِ الحَضَارَةُ الغَرْبِيَّةُ فَاسِدٌ هَزِيلٌ. وَمَا بُنِيَ عَلَى الفَاسِدِ فَهُوَ فَاسِدٌ.

**أيها المؤمنون:**

نَكتَفِي بِهذا القَدْرِ فِي هَذِهِ الحَلْقَة، وَلِلحَدِيثِ بَقِيَّةٌ، مَوعِدُنَا مَعَكُمْ فِي الحَلْقَةِ القَادِمَةِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، فَإِلَى ذَلِكَ الحِينِ وَإِلَى أَنْ نَلْقَاكُمْ وَدَائِماً، نَترُكُكُم فِي عنايةِ اللهِ وحفظِهِ وأمنِهِ، سَائِلِينَ الْمَولَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَن يُعزَّنا بِالإسلام، وَأنْ يُعزَّ الإسلام بِنَا، وَأن يُكرِمَنا بِنَصرِه، وَأن يُقِرَّ أعيُنَنَا بِقيَامِ دَولَةِ الخِلافَةِ الرَّاشِدَةِ

الثَّانِيَةِ عَلَىٰ مِنْهَاْجِ النُّبُوَّةِ فِي القَرِيبِ العَاجِلِ، وَأَن يَجعَلَنا مِن جُنُودِهَا وَشُهُودِهَا وَشُهَدَائِها، إنهُ وَلِيُّ ذلكَ وَالقَادِرُ عَلَيهِ. نَشكُرُكُم عَلى حُسنِ استِمَاعِكُم، وَالسَّلامُ عَليكُم وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه.